

الفصل السابع

الإعجاز العلمي

في السنة الصحيحة

أشبهت بإن لا إله إلا الله أشبهت بإن محمد رسول الله

قال تعالى:

﴿ سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (فُصِّلَتْ: ٥٣).

الإعجاز العلمي في السنة الصحيحة

لقد أوضحت بعض أحاديث النبي ﷺ قضايا كثيرة في جسم الإنسان وفيما سواه من الأمور التي لم يكشف عنها اللثام إلا في الآونة الأخيرة، كما لا يزال بعضها يحتاج إلى المزيد من التقدم في العلوم الكونية حتى تتضح كل أبعاد حقائقها الرائعة البعيدة الغور الصعبة المنال، وها هنا عرض لبعض هذه الأحاديث:

إشارة النبي ﷺ إلى الأمراض الفتاكة عندما تظهر الفواحش في الناس ويعلنوا بها:

أشار رسول الله ﷺ إلى ظهور الأمراض الفتاكة عندما يتهاوى الناس في وهدة الفواحش والرذائل من الزنا وأنواع الشذوذ الجنسي المدمر، فقد قال ﷺ: «لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا». (رواه ابن ماجه، وحسنه الألباني). (الْفَاحِشَةُ) أي الزنا. (الْأَوْجَاعُ) أي الأمراض.

وفي هذا المجال يقول الطبيب الدكتور محمد على البار في كتابه (الأمراض الجنسية): «ولا شك أن الهربس لم يكن منتشرًا بهذه الصورة ولا قريبًا من عُشرها أو واحد بالمائة منها منذ عشرين عاما فقط. إن أخصائيا كبيرا ومشهورا في الأمراض التناسلية لم يستطع هو وصحبه أن يكتبوا للجمهور أكثر من ثمانية أسطر عن مرض هربس التناسل. وكذلك كان الإيدز غير معروف.

فهو مع الإيدز يصدقان حديث رسول الله ﷺ؛ إذ ظهرت الفاحشة، واستعلن الناس في أوروبا وأمريكا ودول شرق آسيا بها، فأصابهم الله بهذه الأوجاع والأمراض التي لم تكن معروفة في أسلافهم.

ولفظ الطاعون هنا يعني الوباء والمرض الخطير. وهو كثيرا ما يستعمل بهذا المعنى؛ فقد تحقق شرط حديث رسول الله ﷺ في المجتمع الغربي في ظهور الفاحشة

والاستعلان بها، فتحقق جواب الشرط في حديث رسولنا العظيم من تفشي الطواغين والأوجاع في هذه المجتمعات.

إن الشواذ جنسياً هم أكثر فئات المجتمع تعرضاً للأمراض التناسلية كالزهري وغيره. وها هو (الإيدز) قد اختصهم الله به. ويبقى أن نسأل هل الإيدز بصفاته الإكلينيكية ومسبباته الفيروسية كان معروفاً من قبل؟ إن المرض نفسه اكتُشف فقط في عام ١٩٨١ م. والفيروس المسبب له لم يكتشف إلا عام ١٩٨٣ م. وهو نوع جديد من الفيروسات.

كذلك فإن أحداً من العلماء لم يسبق له وصف هذا المرض أو الطاعون من قبل وهو ما ختم به رسول الله ﷺ حديثه الشريف في قوله: «إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا».

فانظر إلى خبر رسول الله ﷺ، إن رسولنا الكريم ﷺ يخبر عن حال أهل الفاحشة في كل زمان ومكان بثقة المتكلم عن الله ﷻ وما كان أغناه أن يصف الطواغين والأوجاع بأنها لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، هذا لو كان بشراً عادياً حتى يضمن كلامه في المستقبل.

ولكن رسولنا الكريم ﷺ يثق في الله ﷻ ويتكلم عن الله ﷻ، فأنبأ أن هذه الطواغين والأوجاع سيصيب الله ﷻ بها أهل الفاحشة، وستكون جديدة وغير معروفة. وهكذا نرى في حديث رسول الله ﷺ إعجازين:

الأول: إخباري. وهو تحديد أهل الفاحشة بقوله: إن الله سيبتليهم بأمراض.

الثاني: طبي. وهو تحديد نوعية هذه الطواغين بأنها لم تكن في أسلافهم الذين

مضوا.

ما من كل الماء يكون الولد:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ كُلِّ الْمَاءِ يَكُونُ الْوَلَدُ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ خَلْقَ شَيْءٍ لَمْ يَمْنَعْهُ شَيْءٌ». (رواه مسلم).

إن هذا الحديث قد تناول حقيقة علمية لم يكشفها علم الطب إلا في القرن العشرين وهي أن حيواناً منوياً واحداً فقط من بين مائتين إلى ثلاثمائة مليون حيوان منوي في القذفة الواحدة هو الذي يلقيح البويضة لينتج الجنين بإذن الله تعالى. فكيف عرف النبي ﷺ ذلك؟ من أيّ مخبر استقى معلوماته؟ من أيّ بحثٍ علميٍّ أخذَ هذه الحقيقة؟ وكيف توصلَ إليها؟

مراحل تكوين الأجنة في الأرحام:

لم يكن في عصر النبوة طب كما في هذه الأيام، ولا وسائل كشف أو أشعة تلتقط ما وراء المستور، ومع هذا فقد تحدث رسول الله ﷺ عن مراحل تكوين الجنين في رحم أمه، وحدد كل مرحلة تحديداً دقيقاً في حديثه الذي سمعه منه الصحابي الجليل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ عَمَلَهُ، وَأَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ).

والشاهد في هذا الحديث هو تحديد مدة كل مرحلة من المراحل الثلاث بأربعين يوماً، بعدها يبعث الله الروح في الجنين. ثم جاء الطب الحديث، والتقط صوراً لأجنة وهي في الرحم وعرف الأطباء أن الروح لا تُبعث إلا بعد مائة وعشرين يوماً، وتطابقت نتائج المراقبة الطبية مع دلالات الحديث تماماً. فكان هذا الحديث معجزة نبوية خالدة.

إن القرآن قد ذكر أسماء المراحل في آيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۝١٣ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝١٤ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخِرَ قَبَارِكُ اللَّهِ أَحْسَنُ الْخَلْقَيْنِ ﴿ (المؤمنون: ١٢ - ١٤). ولم يذكر القرآن مدة كل مرحلة، فحددها السنة بأربعين يوماً.

ولم يذكر القرآن لحظة بعث الروح، فبيّنت السنة أنه يكون على رأس المائة والعشرين يوماً (حاصل مجموع ٤٠ + ٤٠ + ٤٠)، أو ليس هذا غيباً لم يكن من الممكن الاطلاع عليه يوم قال الرسول ﷺ هذا الحديث؟

من قوانين الوراثة التي اكتشفت حديثاً:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ، وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟» قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَتَى هُوَ؟»، قَالَ: «لَعَلَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَكُونُ نَزْعُهُ عِرْقُ لَهُ»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «وَهَذَا لَعَلَّهُ يَكُونُ نَزْعُهُ عِرْقُ لَهُ»، (رواه البخاري ومسلم).

شرح الحديث:

(إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلَامًا أَسْوَدَ وَإِنِّي أَنْكَرْتُهُ) مَعْنَاهُ اسْتَعْرَبْتُ بِقَلْبِي أَنْ يَكُونَ مِنِّي. (الْأَوْرَقُ): هُوَ الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ لَيْسَ بِصَافٍ.

وَالْمُرَادُ بِالْعِرْقِ هُنَا الْأَصْلُ مِنَ النَّسَبِ تَشْبِيهاً بِعِرْقِ الثَّمَرَةِ، وَمَعْنَى (نَزْعُهُ) أَشْبَهُهُ وَاجْتَذَبَهُ إِلَيْهِ وَأَظْهَرَ لَوْنَهُ عَلَيْهِ، وَأَصْلُ النَّزْعِ الْجَذْبُ فَكَأَنَّهُ جَذَبَهُ إِلَيْهِ لِشَبْهِهِ، يُقَالُ مِنْهُ نَزَعَ الْوَلَدُ لِأَبِيهِ وَإِلَى أَبِيهِ وَنَزَعَهُ أَبُوهُ وَنَزَعَهُ إِلَيْهِ.

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ الْوَلَدَ يَلْحَقُ الزَّوْجَ وَإِنْ خَالَفَ لَوْنُهُ لَوْنَهُ حَتَّى لَوْ كَانَ الْأَبُ أَبْيَضَ وَالْوَلَدُ أَسْوَدَ أَوْ عَكْسُهُ لِحَقِّهِ وَلَا يَحِلُّ لَهُ نَفْيُهُ بِمَجَرَّدِ الْمُخَالَفَةِ فِي اللَّوْنِ، وَكَذَا لَوْ كَانَ الزَّوْجَانِ أَبْيَضَيْنِ فَجَاءَ الْوَلَدُ أَسْوَدَ أَوْ عَكْسُهُ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ نَزَعَهُ عِرْقُ مِنْ أَسْلَافِهِ.

وجه الإعجاز:

إن علم الوراثة الحديث يؤكد أن الشبه بين المولود ووالديه قد يكون غير ظاهر، بل بعيد كل البعد عن كلا الأبوين، وبما أن الصفات الوراثية قد تكون سائدة، وقد تكون متنحية، فإن الصفات المتنحية لا تكون ظاهرة لا في الأب، ولا في الأم، فإذا اتفق وكان كلا الأب والأم يحملان هذه الصفات المتنحية، فإن ربع أولادهم - تقريباً - ستظهر فيهم هذه الصفة المتنحية بصورة واضحة جلية، وذلك لاجتماع الصفتين من كلا الأب والأم.

وقد أشار النبي ﷺ في هذا الحديث إلى قوانين الوراثة التي اكتشفت حديثاً والتي اكتشف كثيراً منها (مندل)، ففي هذا الحديث شرحٌ للصفات الكامنة المحمولة على المورثات التي لم توضع موضع التنفيذ لكونها قد سبقت أو غلبت بمورثات أخرى، فقد يرث الإنسان صفة من جد أو جدة بينه وبين أحدهما مئات السنين؛ وهذه الظاهرة معروفة ومشار إليها في علم الوراثة، والرسول الكريم ﷺ أشار إليها في هذا الحديث وشرح قوانينها بالصفات السابقة والمسبوقة، وبحضور الأنساب حتى آدم عليه السلام.

من أسرار الذباب:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ شِفَاءً، وَفِي الْآخَرِ دَاءٌ» (رواه البخاري). وفي رواية للبخاري أيضاً: «إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً وَالْأُخْرَى شِفَاءً».

اتخذ بعض من لا دين لهم (حديث الذباب) تكة للتنديد بالدين، وأنكره بعض ضعاف الإيمان، وحاول المستنكرون من المتدينين أن يبحثوا عن تأويل مقبول له، لمواجهة استهجان بعض المتخصصين في العلوم والطب، أو سخرية البعض الآخر من نص هذا الحديث النبوي.

وهذا الحديث في أعلى درجات الصحة، والخطأ الذي يقع فيه كثير من الناس هو عدم التفريق بين المستحيل والمستغرب؛ لأن المستحيل يعود إلى أصل الشيء

ونكرانه، ولكن المستغرب يعود إلى ضعف القائم بالتصوير وعدم إدراكه؛ فإذا جاءت هذه الأحاديث من طرق ثابتة تفيد القطع، فيجب اعتقادها، ولا يصح إنكارها.

كم من أمر جاء موافقاً لما قاله النبي ﷺ بعد سنين أو مئات السنين. وإن جاءت هذه الأحاديث عن طريق غلبة الظن، فليس من شأن المسلم أن يبادر إلى تكذيبها، بل يلزمه التأمّن، والسؤال عن صحة الخبر، حتى لا يقع في التناقض بعد ثبوته. وإن من يتخذ من هذا الحديث (حديث الذباب) أو غيره سبيلاً لإثارة المشاكل ضد الإسلام أو السخرية منه أو الاستهزاء به، فهو كافر بإجماع العلماء.

إن من الاستقراء التاريخي، وتتبع التطور العلمي، والفكري، نرى أن كثيراً مما كان غامضاً على العقول، أصبح مفهوماً وواضحاً، بل نرى كثيراً مما كان ينكره العقل، أصبح الآن يقره، ويسلم بوجوده، وصار عنده من الحقائق.

كيف يكون الذباب الذي هو مباءة الجراثيم فيه دواء؟ وكيف يجمع الله الداء والدواء في شيء واحد؟ وهل الذباب يعقل فيقدم أحد الجناحين على الآخر؟ كيف يجتمع الشفاء والدواء في جناحي الذباب؟ كيف يعلم ذلك في نفسه حتى يقدم جناح الداء، وما ألجأه إلى ذلك؟

إن علماء الطب والطبيعة وغيرهم يعترفون بأنهم ما وسعوا كل شيء علماً، ولم يحيطوا بدقائق كل العلوم والمعارف. واكتشافات العلم كانت وما زالت تتوالى من اكتشاف شيء بعد آخر. فبأية عقيدة وإيمان ينفي هؤلاء المنكرون أن يكون الله ﷻ قد أطلع رسوله ﷺ على أمر لم يصل إليه علماء الطب وعلماء الطبيعة بعد.

إن الذباب مما يتعذر دفعه كثيراً، وتصعب الوقاية منه في كثير من الأحوال، فإذا دعت الضرورة ووقع الذباب في الطعام، فإن الحديث النبوي يكشف عن وجود مواد مضادة لكثير من الأمراض، فإن نحن غمَسْنَا الذبابة وخرج منها السائل قتلَت المادة الموجودة فيه تلك الجراثيم المرضية، وهذا غير مرفوض عقلياً، وإن كان مستغرباً، والغرابة تأتي من الجهل بمادته، ولأن النفس تعافه.

الذباب في عالم الحشرات:

يفوق عدد أنواع الذباب المعروفة في أنحاء العالم الآن (٦٤٠٠٠) نوع، ومن المعروف أن النوع يعني الذباب له نفس الصفات والطبائع والسلوك ونظام حياة واحد، فالنوع إذن يضم ملايين الملايين، أو مليارات المليارات من الأفراد التابعة له. على أن أهل الاختصاص يشترطون القابلية للتزاوج بين أفراد النوع الواحد.

والذباب قد يكون مفيداً للإنسان، كالذباب الأزرق وغيره من الأنواع الآكلة للرمم والجثث والمواد العفنة، فهو يخلص الإنسان منها، وينظف البيئة من الملوثات، وكذلك ذبابة الخل التي يستعملها علماء الوراثة في تجاربهم وبحوثهم واكتشافاتهم في علم الوراثة وتقدم البشرية فيه.

أما الوجه السيء للذباب فهو الأضرار التي تنجم عن حركته ونقله للميكروبات إلى الإنسان، وهي الميكروبات التي تسبب له أمراضاً كثيرة، مثل الكوليرا (وتنتشر في شكل وباء يقتل المئات أحياناً)، التيفود، مرض النوم، الليشمانيا، حمى الباباتازي، الدوستتاريا الأميبية، الدوستتاريا البكتيرية، الإسهال الصيفي، السل، الجزام، الجمرة الخبيثة، والخراريج. هذا إلى جانب نقل بيض بعض الديدان والطفيليات.

ولقد وصل عدد الميكروبات الضارة التي أحصاها أحد العلماء في شعر ذبابة واحدة إلى (٦٦٠٠٠٠٠) ستة ملايين وستمئة ألف ميكروب!!

وهناك من العلماء من عثر على (٥٠,٠٠٠,٠٠٠) خمسين مليون ميكروب على جسم ذبابة واحدة!! هذا العدد هو عدد الميكروبات التي عثر عليها العالم على وبين شعر الذبابة، يعني موجودة على الذبابة من الخارج، ولكن هناك أعداد أخرى لميكروبات أخرى موجودة داخل جسم الذبابة، وخصوصاً في القناة الهضمية (الجهاز الهضمي).

الذبابة المنزلية الشائعة توجد في كل مكان تقريبًا، غير نظيف، أو حتى نظيف، لكنه يحتوي طعامًا شهياً للذباب، كالسوائل الحلوة أو المشروبات أو الأطعمة المكشوفة. والذبابة التي عمرها يتراوح بين (٩)، (١٢) يومًا، هي التي تبيض، فأين تبيض؟ إنها تبيض في الأماكن القذرة وشقوق الحظائر الملوثة بالروث، وتبيض أيضًا في القمامة، وخصوصًا قمامة الفواكه والخضراوات المتعفنة، وهذه أفضل أماكن لتربية يرقات الذباب بعدما يفقس البيض.

ويتجمع الذباب عندما يبيض، والأنثى الواحدة منه تبيض بيضًا متجمعًا في شكل كتل، كل كتلة فيها (١٠٠) بيضة، ويصل عدد الكتل التي تضعها الأنثى في حياتها (٢٠) كتلة، يعني أن متوسط عدد البيض الذي تبيضه أنثى الذبابة المنزلية هو (٢٠٠٠) بيضة.

الذباب: مصدر الداء ومصدر الدواء:

توصل (بريفيلد) - من جامعة هال بألمانيا - في عام ١٨٧١م إلى أن الذبابة المنزلية تصاب بطفيل من الفطريات يقضي حياته في الطبقة الدهنية الموجودة داخل بطن الذبابة، على شكل خلايا خميرة مستديرة. وبعد نضج هذه الخلايا المستديرة، تستطيل وتخرج من بين الشداف البطنية أو من المتنفّسات الفتحات التنفسي والفطر في هذه الحالة يكون في دورة التكاثر، وتتضاعف أعداد البذور داخل الخلايا، فيزداد ضغطها، فتنفجر الخلايا، وتخرج منها بذور الفطر باندفاع شديد مصحوبة بالسائل الخلوي على هيئة رشاش.

وقدّم العالم "دريل" في ١٢ ديسمبر ١٩٢٣م تقريرًا عن أسباب تكرار ظهور وباء (جائحة) الكوليرا في الهند، وطرق مكافحته، وقد كان موفدًا لهذا الغرض من رئاسة الصحة البحرية والحجر الصحي المصري وبعد أن قام "دريل" وزملاؤه المتخصصين بدراسة الموقف وتقويمه، قدم هذا التقرير المسهب، الذي أثبت فيه أن البكتريوفاج (أي قاتل أو بالع أو آكل أو مفترس) البكتريا، أو الخلية البكتيرية البلعية. هو العامل الوحيد في مكافحة وباء الكوليرا، ويوجد هذا العامل في براز الناقهين من

هذا المرض، وأن الذباب ينقله من البراز إلى آبار ماء الشرب فيشربه الأهالي. وحين يظهر البكتريوفاج القوي في ذباب البلاد ومائها تنطفئ جذوة الكوليرا.

وحصل "دريل" وزملاؤه على البكتريوفاج القوي من جسم الذباب، وتوصل إلى أن الحصانة (المناعة) الحقيقية يحققها الأهالي بعد دخول البكتريوفاج في أمعائهم بشرب ماء أو بتناول الأغذية المحتوية عليه والمنقولة إليها بواسطة الذباب.

ونشرت جريدة "التجارب الطبية" في عددها الصادر في عام ١٩٢٧م تحت عنوان: "البكتريوفاج من ذباب البيوت": لقد أطعم الذباب الذي يألف البيوت من مزرعة الجراثيم الممرضة، وبعد حين اختفى أثر الجراثيم التي في الذباب وماتت كلها، وظهرت في الذباب مادة قاتلة للجراثيم تسمى (بكتريوفاج) وهي مادة ذات أثر قوي ضد أربعة أنواع من الجراثيم الممرضة.

كما ذكرت المقالة أن خلاصة من الذباب في محلول ملحي فسيولوجي وجد أنها تحتوي هذا العامل "البكتريوفاج" وكذلك مادة أخرى ليست من هذا النوع ولكنها مفيدة في الدفاع العضوي ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم الممرضة.

وأعلن أستاذ علم الفطريات الكبير "لانسجرون" في عام ١٩٤٥م أن فطر (إنتوموفنزالي) الذي يعيش دومًا في بطن الذبابة على هيئة خلايا مستديرة، يحتوي خميرة (إنزيم) خاصة قوية، تُحلّل وتُذيب من أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

ونجح الباحث "موفيتش" عام ١٩٤٧م في عزل مضادات حيوية من مزرعة للفطريات التي تعيش على جسم الذبابة ووجدها ذات مفعول قوي على جراثيم سلبية لصبغة جرام (مثل جراثيم الزحار والتيفويد)، ووجد أن جرامًا واحدًا منها يحفظ أكثر من ألف لتر من اللبن من التلوث بالجراثيم المذكورة.

وفي سنة ١٩٤٨م، عزل "بريان"، و"كوتيس"، و"هيمنج"، و"جيفيريس"، و"ماكجوان"، من بريطانيا، مادة مضادة للحويّة تسمى "كلوتينيزين"، وذلك من أنواع تابعة لفصيلة الفطريات التي تعيش في الذبابة، ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد.

وفي سنة ١٩٤٩م، عزل "كوماس"، و"فارمر" - من إنجلترا -، و"جريان"، و"روث"، و"اتلنجر"، و"بلانتر" - من سويسرا - مادةً مضادة للحياة تسمى "انياين"، وذلك من فطريات تعيش في الذبابة. وتؤثر هذه المادة بقوة في جراثيم سالبة وجراثيم موجبة لصبغة جرام، وفي بعض الفطور الأخرى، مثل جراثيم الدوسنتاريا والتيفويد والكوليرا. وتكفي كمية قليلة من هذه المادة المعزولة من جسم الذبابة لقتل أو إيقاف نمو هذه الجراثيم المرضية.

كما تمكن العالمان الإنجليزيان "ارنشتاين"، و"كوك" والعالم السويسري "روليس"، في عام ١٩٥٠م عزل مادة أسموها "جافاسين" وذلك من فطر ينتمي إلى نفس الفصيلة المذكورة سابقاً، وهو يعيش على الذباب، واتضح لهم أن هذه المادة تقتل جراثيم مختلفة من بينها الجراثيم السالبة لصبغة جرام والجراثيم الموجبة لصبغة جرام. مما يفيد في مكافحة الجراثيم التي تسبب أمراض الحميات التي يلزمها فترة حضانة قصيرة.

إن الحديث النبوي لا ينكر أن الذبابة تحمل الأقدار وجراثيم الأمراض، بل يؤكد ذلك ويكرره بقوله: (فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ)، فهذا شيء أصبح الآن معروفاً لدى الجميع، وأما الجانب الذي يجهله الكثير من الناس فهو وجود مضادات حيوية للجراثيم في الذباب.

ومن المعروف منذ القَدَم أن بعض المؤذيات يكون في سمها نفع ودواء، فقد يجمع الضدان في حيوان واحد، فالعقرب في إبرتها سُمٌّ نافع، وقد يداوى سُمُّها بجزء منها. والنحلة يخرج من إبرتها سم نافع، ويخرج من فمها شراب نافع. ويحضر لقاح من الأفاعي والحشرات السامة، يُحقن به لديدغ العقرب، أو لديدغ الأفعى. ويستخرج البنسلين من العفن ومواد قدرة من تراب المقابر .. إلخ.

وللجراثومة ذيفان (Toxin) وهو مادة منفصلة عن الجراثيم. وإذا دخل الذيفان في بدن الحيوان قام البدن بتكوين أجسام مضادة له تُبطل مفعوله، وتسمى هذه المادة: مبيد الجراثيم (باكتريوفاج).

فهل يستبعد القول بأن الذباب يلتهم الجراثيم ضمن ما يلتهمه، فيكون في جسم الذباب الأجسام الضدية المبيدة للجراثيم التي لها القدرة على الفتك بالجراثيم الممرضة التي ينقلها الذباب إلى الطعام أو الشراب. فإذا وقعت الذبابة في الطعام فما علينا إلا أن نغمسها فيه، فتخرج تلك الأجسام الضدية فتهلك الجراثيم التي تنقلها الذبابة.

وقد حصل الدكتور /أبو الفتوح مصطفى عيد، على درجة الدكتوراه من جامعة الإسكندرية تحت إشراف الدكتور /أمين رضا، وقد ورد فيها قوله: «وقد كانت الحرب العالمية حقلاً خصيباً تطور خلالها علاج هذا المرض (التهاب العظام المزمن)، ففيها استنتجت طريقة العلامة "أور" سنة ١٩٢٧م، وطريقة العلاج بيرقات الذباب للأستاذ "بيير" سنة ١٩٣١م.

كما ورد في مقالة لمجلة (جراحة العظام الأمريكية) - مجلد ١٦ عدد ٣ - سنة ١٩٣٤م، شرح لعلاج الالتهابات العظمية المزمنة باستعمال الذباب، وشرح لكيفية تربية الذباب لهذا الغرض. وسبق أن نُشر على صفحات نفس المجلة عام ١٩٣١م، إعلان لشركة "لديرل" عن بيعها بيرقات الذباب لاستعمالها للعلاج.

كما ورد في نفس المجلة (عدد أبريل ١٩٣٥م) مقالة للعالم "وليم روبنسون" يشرح فيه تطور التفكير في اغتذاء الذباب على الأنسجة الميتة، وكذلك إفرازات هذه اليرقات والتمثيل الغذائي فيها، بهدف فهم سر التئام الجروح إذا تركت ملوثة بيرقات الذباب.

إن هذه البحوث والمقالات والأخبار والمعلومات، وغيرها كثير، تؤكد إمكانية استعمال الذباب على المستوى التجاري وتربيته وتسويقه بهدف علاج الجروح المتقيحة، وعلاج تقيحات العظام، ولكن هذا لم يلق الاهتمام المطلوب. ويعلل الدكتور /أمين رضا هذا في رسالة بعث بها إلى الدكتور /غريب جمعة بأن ظهور مركبات السلفا في نفس الوقت، وظهور المضادات الحيوية الذي بدأ في الحرب العالمية الثانية، حوّل أنظار العلماء إلى هذه الطرق التي كانت جديدة في زمانها.

ونشرت مجلة "التوحيد" بالقاهرة في عددها الخامس لسنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م مقالاً للأستاذ الدكتور أمين رضا (أستاذ جراحة العظام والتقويم بجامعة الإسكندرية) قال فيها إن جميع الجراحين الذين عاشوا في السنوات التي سبقت اكتشاف مركبات السلفا - أي في السنوات العشر الثالثة من القرن العشرين - رأوا بأعينهم علاج الكسور المضاعفة والقرحات المزمنة بالذباب، وكان الذباب يُربى لذلك خصيصاً. وكان هذا العلاج مبنياً على اكتشاف (باكتريوفاج) القاتل للجراثيم، على أساس أن الذباب يحمل في آنٍ واحد الجراثيم التي تسبب المرض، وكذلك الباكترىوفاج الذي يهاجم هذه.

إن في هذا الحديث إعلان بالغيب عن وجود سُمٍّ في الذباب، وهو شيء لم يكشفه العلم الحديث بصفة قاطعة إلا في القرنين الأخيرين (التاسع عشر والعشرين) الميلاديين. وفي هذا الحديث إعلام بالغيب عن وجود شيء على الذباب يصاد السموم التي تحملها. والعلم الحديث يخبرنا بأن الأحياء الدقيقة (من بكتريا وفيروسات وفطريات) تشن الواحدة منها على الأخرى حرباً لا هوادة فيها. فالواحدة منها تقتل الأخرى عن طريق مواد سامة تفرزها. ومن هذه المواد السامة بعض الأنواع التي يمكن استعمالها في العلاج. وهي ما نسميه "المضادات الحيوية"، مثل البنسلين والكلوروميسيتين وغيرهما.

بحوث معملية حديثة على هدي الحديث النبوي:

قام الأستاذ الدكتور مصطفى إبراهيم حسن، أستاذ الحشرات الطبية ومدير مركز أبحاث ودراسات الحشرات الناقلة للأمراض، بكلية العلوم (بنين) - جامعة الأزهر - القاهرة - مصر، بإجراء بحث علمي تجريبي دقيق رد فيه عن طريق العلم التجريبي على المتشككين في هذا الحديث.

وقد أجرى الدكتور نبيه عبد الرحمن باعشن - رئيس قسم الأحياء بكلية العلوم جامعة الملك عبد العزيز بجدة - وزملاؤه سلسلة من البحوث تحت عنوان: "تأثير السقوط والغمس للذبابة المنزلية على مدى تلوث الماء والأغذية بالميكروبات". وكان

مما ورد فيه عن تأثير السقوط والغمس للذباب على تلوث ونمو الميكروبات على الحليب، ما يلي:

- وجود عامل مثبط لنمو الجراثيم الموجودة على الذباب، والتي تسقط في الماء أو الطعام، عند سقوط الذباب فيه، ومن ثم، الحد من نمو الجراثيم، وتقليل عددها أيضًا.
 - إن عملية الغمس تقلل من تأثير الجراثيم التي يحملها الذباب وتسقط في الماء أو الطعام عند سقوط الذباب فيه.
 - إن تأثير عملية الغمس هي على الجراثيم المرضية أكثر مما هي على الجراثيم الكلية (النافعة) التي لا تحمل الأمراض، وهذا ما يؤكد الحديث الشريف (داء، شفاء).
 - إن فعالية الغمس أظهرت فعالية القضاء على الجراثيم عند درجات مشابهة لدم الإنسان وجسمه، بخلاف ما لو أجريت في وسط متعادل.
- وهذا ما يبين المعجزة في الحديث، وهي أن النتائج قد أثبتت بشكل واضح أن الذباب إذا سقط ثم طار، فإن الجراثيم التي تسقط منه في الطعام أو الشراب تزداد أعدادها، بينما إذا غمس ثم رفع، فإن الجراثيم التي تسقط لا تبقى أعدادها كما هي، بل تبدأ بالتناقص، ويحد من نموها أيضًا.
- فلو سقط من الذبابة (١٠٠٠) جرثومة مثلاً، ثم طارت الذبابة، فإن الألف تزيد لتصبح مثلاً (١٠١٠ - ١٠٢٠ - ١٠٥٠ وهكذا) بينما لو سقط منها (٢٠٠٠) جرثومة ثم غمست، فإن الألفين لا يزيدا بل ولا تبقى عند حدّها، بل تنقص شيئاً فشيئاً لتصبح مثلاً (١٩٥٠ - ١٩٠٠ - ١٨٥٠) حتى تصبح أقل بكثير مما سقط، وهذا ما تؤكد هذه التجارب.
- إن هذه التجارب أثبتت صحة الحديث النبوي، أيضًا، من الناحية العلمية التجريبية، وإن كنا ننتظر ما هو أكثر من ذلك.

إن الأمر المتوقع والمنطقي أن غمس الذباب يزيد من عدد الجراثيم التي تسقط منه في الماء أو الطعام، وذلك لأنها تعطي فرصة أكبر لسقوط الجراثيم عن سطحه، بخلاف وقوفه على الطعام أو الشراب، لأن الذي يمس منه هو أطرافه وخرطومه وأطراف أجنحته، بينما في الغمس يسقط كله. هذا لو كان الأمر عادياً ومتوقعاً.

بينما أظهرت التجارب عكس ذلك تمامًا، وهذا هو المذهل في الأمر، نتيجة تجارب كثيرة جدًا وتكررت في مدة تزيد عن سنتين في كل من جدة والقاهرة، وفي معامل (مختبرات) الجامعات، ومن قَبْلُ أساتذة مختصين هدفهم هو الناحية العلمية، وإن كانوا قد فرحوا بالنتائج التي توصوا إليها. إن هذه التجارب أثبتت إعجازاً علمياً في السنة يضاف إلى المعجزات العلمية الأخرى التي تدل على معجزة النبي ﷺ الخالدة، في الكتاب والسنة.

هل ذكر الأجنحة في الحديث النبوي يفيد التخصيص، أم أنه أمر اعتباري؟

ورد في نص الحديث (فَلْيَغْمِسْهُ)، أي: فليغمس الذبابة كلها، فقد دخل في الغمس جسمها مع جناحيها، ولم يرد في الحديث غمس الجناحين فقط، مما دل على أن الداء والشفاء في الجناحين أمر اعتباري لا يفيد التخصيص، والأمر بغمسها يؤكد ذلك، وهو لأجل تطهير الشراب من الجراثيم، وذلك بإدخال الباكترئوفاج (عامل الشفاء) والجراثيم، وتحقيق وظيفتهما على حمل ونقل الجراثيم والباكترئوفاج فقط.

وبذلك يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوي الذي يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها في السائل أو الطعام إذا وقعت عليه (فيه) لإفساد أثر الميكروبات المرضية التي تنقلها. وكذلك يؤكد الحقيقة التي أشار إليها الحديث، وهي أن في أحد جناحيها داء (أي: في أحد أجزاء جسمها) الأمراض المنقولة بالميكروبات المرضية التي حملتها وفي الآخر شفاء، وهو المواد الحيوية المضادة التي تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها، والتي تخرج وتنطلق بوجود سائل حول خلايا الفطريات المستطيلة.

إن حديث الذباب يتضمن معجزتين علميتين لرسول الله ﷺ:

إحداهما: وجود الميكروب في جانب من الذبابة ووجود المضاد الحيوي في الجانب الآخر.

وأما المعجزة الثانية فهي في كلمة (فَلْيَغْمِسْهُ)، لأن الغمس يتضمن ولوج المنطقة التي بها فطريات حاملة للمضادات الحيوية وللميكروبات ولأن عملية الغمس تسمح للسائل أن ينتشر إلى الغشاء بالانتشار الغشائي حتى ينفجر هذا الغشاء ويخرج السيتوبلازم الذي يحتوي مضادات الميكروبات التي يكفي (٢) ملي جرام منها لتطهير ألف لتر من اللبن الملوث بجميع الميكروبات.

تنبيهات:

- هذا الحديث النبوي لم يدعُ أحدًا إلى صيد الذباب ووضعه عنوةً في الإناء ولم يشجع على ترك الأنية مكشوفة، ولا على الإهمال في نظافة البيوت والشوارع، ولا يتعارض مع الحماية من أخطار انتشار الذباب بأية صورة. ولا يمنع أحدًا من الأطباء والقائمين على صحة الشعب من التصدي للذباب في موطنه ومحاربه وإعدامه وإبادته.
- وإن من يقع الذباب في إنائه، ويشمئز من ذلك ولا يمكنه تناول ما فيه فإن الله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.
- بعض الناس يستغرب الأمر فيقول وما المشكلة في أن يرمي الإنسان الشراب وما فيه إذا وقعت فيه ذبابة؟ هذا الأمر قد يسهل على كثير من الناس إذا كان الأمر متعلقًا بأمر يسير، كُوب من الشاي مثلاً، ولكن ضع نفسك مكان شخصٍ متوسط الحال قد وقعت ذبابة في إنائه المحتوي على حساء (شُرْبَة أو مرق) وبضعة كيلوجرامات من اللحم قد أعدها لضيوفه في مناسبة من المناسبات، هل يغمس هذه الذبابة الواحدة ثم ينزعها، ويتجنب الآثار المرئية التي قد تسببها تلك

الذبابة الواحدة أم يسكب ما في الإناء من لحم؟!!!

لعب الكلب وقوة مضغ التراب لتنظيفه:

لقد شدد رسول الله ﷺ النهي عن مخالطة الكلاب، وهي سباع مدجنة فيها من الطفيليات والجراثيم الدقيقة الشيء الكثير، والتي قد تسبب للإنسان أخطاراً محققة، فقال ﷺ: «لَا تَدْخُلُ الْمَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ» (رواه البخاري ومسلم). وقال ﷺ: «مَنْ اتَّخَذَ كَلْبًا، إِلَّا كَلْبَ زَرْعٍ، أَوْ غَنَمٍ، أَوْ صَيْدٍ، يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ كُلِّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ» (رواه مسلم).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا وَلَغَ الْكَلْبُ فِي إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ فَلْيُرِقْهُ ثُمَّ لِيَغْسِلْهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ» (رواه مسلم). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ظَهُورُ إِنَاءٍ أَحَدِكُمْ إِذَا وَلَغَ فِيهِ الْكَلْبُ، أَنْ يَغْسِلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَوْ لَاهَنَ بِالتُّرَابِ» (رواه مسلم).

ويشير هذان الحديثان الأخيران الواردان عن النبي ﷺ إلى ضرورة إراقة الإناء الذي ولغ فيه الكلب وتطهير الإناء الذي ولغ فيه الكلب بغسله سبع مرات أولها بالتراب.

وقد أكد الأطباء على ضرورة استعمال التراب في عملية غسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب وبيّنوا الحكمة في الغسل سبع مرات أولاًهن بالتراب: أن فيروس الكلب دقيق ومُتَنَاهٍ في الصغر، ومن المعروف أنه كلما صغر حجم الميكروب كلما زادت فعالية سطحه للتعلق بجدار الإناء والتصاقه به، ولعاب الكلب المحتوي على الفيروس يكون على هيئة شريط لعابي سائل، ودور التراب هنا هو امتصاص الميكروب - بالالتصاق السطحي - من الإناء على سطح دقائقه.

وقد ثبت علمياً أن التراب يحتوي على مادتين قاتلتين للجراثيم هما (تراكسلين) و(التتاراليت) وتستعملان في عمليات التعقيم ضد بعض الجراثيم. والغسل بالتراب أقوى من الغسل بالماء، لأن التراب يسحب اللعاب ويسحب الفيروسات الموجودة فيه بقوة أكثر من إمرار الماء، أو اليد على جدار الإناء، وذلك بسبب الفرق في الضغط الحلولي بين السائل (لعاب الكلب) وبين التراب.

وتوقع بعض الباحثين أن يجدوا في تراب المقابر جرائم معينة بسبب جثث الموتى، لكن التجارب والتحليل أظهرت أن التراب عنصر فعال في قتل الجرائم. فقد قام العلماء في العصر الحديث بتحليل تراب المقابر ليعرفوا ما فيه من الجرائم، وكانوا يتوقعون أن يجدوا فيه كثيرًا من الجرائم الضارة، وذلك لأن كثيرًا من البشر يموتون بالأمراض الإلتانية الجرثومية، ولكنهم لم يجدوا في التراب أثرًا لتلك الجرائم الضارة المؤذية، فاستنتجوا من ذلك أن للتراب خاصية قتل الجرائم الضارة، ولولا ذلك لانتشر خطرهما واستفحل أمرها، وقد سبقهم النبي ﷺ إلى تقرير هذه الحقيقة بهذه الأحاديث النبوية الشريفة.

تمييز بول الغلام الرضيع:

قَالَ ﷺ: «يُغَسَّلُ مِنْ بَوْلِ الْجَارِيَةِ وَيُرَشُّ مِنْ بَوْلِ الْغُلَامِ». (رواه أبو داود، وصححه الألباني). وعن أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مَحْصَنٍ رضي الله عنها أَنَّهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِابْنٍ لَهَا لَمْ يَبْلُغْ أَنْ يَأْكُلَ الطَّعَامَ، فَأَجْلَسَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجْرِهِ، فَبَالَ عَلَى ثَوْبِهِ، فَدَعَا بِإِئَاءٍ فَنَضَحَهُ وَلَمْ يَغْسِلْهُ غَسْلًا. (رواه البخاري ومسلم).

يُفْهَم من هذين الحديثين فقهياً أن بول الغلام الذي لم يأكل الطعام نجاسته مخففة ويكتفى فيها بالنضح أي الرش بالماء، ويفهم منها علمياً وجود فارق طبيعي يجعل بول الغلام الذي لم يأكل الطعام أقل عرضة للتلوث وأخف نجاسة.

وقد قامت الأستاذة أصيل محمد علي، جامعة دهوك - كلية العلوم - قسم الفيزياء - العراق، والدكتور أحمد محمد صالح، جامعة دهوك - كلية الطب - قسم الأحياء المجهرية الطبية - العراق، بعمل دراسة لنسبة تواجد البكتيريا في بول الأطفال الرضع وحديثي الولادة، لغرض دراسة الحديث النبوي الشريف من الناحية العلمية ومعرفة الفرق بين بول الغلام والجارية الرضع، حيث تم التركيز على عدد البكتيريا في العينات وكذلك نوع البكتيريا من ناحية صبغة جرام (السالبة والموجبة). وقد أثبتت هذه الدراسة عملياً بالتجربة أنه قبل اكتشاف البكتيريا بقرون كان النبي محمد ﷺ موصولاً بالوحي معلماً من قِبَلِ العليم الحكيم.

اعتمدت هذه الدراسة على عينات جُمعت لـ ٧٣ طفلاً تم اختيارهم بشكل عشوائي باستخدام الأكياس البلاستيكية المعقمة والمخصصة لهذا الغرض. وفُحصت العينات مباشرةً في المختبر باستخدام صبغة جرام حيث تم تحضير مسحة من راسب كل بول على شريحة زجاجية ثم صبغها بصبغة جرام. أظهرت النتائج وجود فروق معنوية في نسبة عدد البكتيريا بين الجنسين الذكري والأنثوي.

وقد كانت النتائج على النحو التالي:

أولاً: في الفئة العمرية حتى ٣٠ يوم كانت نسبة تواجد البكتيريا في بول الرُّضْع الإناث ٤٤, ٩٥٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتيريا في الحقل المجهرى لبول الرضع الإناث ٩, ٤١ بينما بلغ العدد ٢ في نفس الحقل للرضع الذكور.

ثانياً: في الفئة العمرية ١ - ٢ شهر كانت نسبة تواجد البكتيريا في بول الرضع الإناث ٤٨, ٩١٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتيريا في الحقل المجهرى لبول الرضع الإناث ١, ٢٤ بينما بلغ العدد ٢٥, ٢ في حالة الرضع الذكور.

ثالثاً: في الفئة العمرية ٢ - ٣ شهر كانت نسبة تواجد البكتيريا في بول الرضع الإناث ٦٩, ٩٣٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتيريا في الحقل المجهرى لبول الرضع الإناث ١, ٢٤ بينما بلغ العدد ٦, ١ في حالة الرُّضْع الذكور.

رابعاً: في الفئة العمرية أكثر من ٣ شهور كانت نسبة البكتيريا في بول الرُّضْع الإناث ٦٩٪ أكثر من الرضع الذكور حيث بلغ عدد البكتيريا في الحقل المجهرى لبول الرضع الإناث ٩, ١٣ بينما بلغ العدد ٨, ٦ في حالة الرضع الذكور.

ويلاحظ في حالة الرُّضْع الإناث تناقص عدد البكتيريا مع التقدم في العمر، وفي حالة الرضع الذكور عقب انخفاض أولي تزايد عدد البكتيريا مع تناول الطعام والتقدم في العمر تماماً كما أفاد الحديث النبوي.

هذا هو أول بحث تجريبي في هذا المجال، وبالطبع لم يدرك أحد منذ زمن الوحي فروقا بين بول الجارية وبول الغلام الذي لم يأكل الطعام بعد حتى أن الفقهاء قد

اجتهدوا في التعليل، لكن براهين الوحي تشع اليوم بنور اليقين، ودين تتفق تشريعاته مع حقائق التكوين لن تبيده أبداً حيلٌ مهما بلغت أو عتاد.

ماء زمزم:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ» (رواه ابن ماجه، وصححه الألباني).

(مَاءُ زَمْزَمَ) الذي هو أشرف المياه وأجلها قدراً وأحبها إلى النفوس. (لِمَا شُرِبَ لَهُ) عام في كل ما نواه شاربهُ لدفعه أو جلبه، والحديث إخبارٌ بأن الله قد جعله لكل مطلوب، والعمدة صلاح نيات القلوب وقد ذكر جماعة من العلماء والصالحين أموراً شربوه لأجلها فنالوها.

فماء زمزم إن شربته لعطش رويت وإن شربته لجوع شبت حتى إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث أن الإنسان إذا كان مريضاً وشربه للشفاء شفى وإذا كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظاً.

وقال عنها رسول الله ﷺ: «خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ؛ فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطَّعْمِ وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ» (رواه الطبراني، وصححه الألباني).

(فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطَّعْمِ) أي طعام إشباع أو طعام شبع من إضافة الشيء إلى صفته، والطعام: الشفاء (وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ) أي شفاء من الأمراض إذا شُرِبَ بنية صالحة.

وفي قصة أبي ذر رضي الله عنه أنه لما دخل مكة أقام بها شهراً لا يتناول غير مائها وقال: «مَا كَانَ لِي طَعَامٌ إِلَّا مَاءُ زَمْزَمَ فَسَمِنْتُ حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْ بَطْنِي وَمَا أَجِدُ عَلَى كِبْدِي سُخْفَةَ جُوعٍ»، فقال له النبي ﷺ: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طَعِيمٌ» (رواه مسلم).

(حَتَّى تَكَسَّرَتْ عُنْ بَطْنِي) يَعْنِي إِنشَتْ لِكثْرَةِ السَّمَنِ وَأَنْطَوَتْ. (سُخْفَةَ جُوعٍ) أي رِقَّةُ الْجُوعِ وَضَعْفُهُ وَهَزَالُهُ. قَوْلُهُ ﷺ فِي زَمْزَمَ: «إِنَّهَا طَعَامٌ طَعِيمٌ» أَي تَشْبَعُ شَارِبَهَا كَمَا يُشْبَعُهُ الطَّعَامُ.

تقع بئر زمزم المباركة بجوار باب بني شيبه، وبينها وبين الحجر الأسود ١٨ مترًا. وقد قامت المملكة العربية السعودية بأضخم عملية تنظيف للبئر، ووضعت خارطة دقيقة لأبعادها ومصادر تغذيتها بالمياه.

وقد عرفت منذ زمن إسماعيل عليه السلام، حين كانت أمه "هاجر" تبحث عن الماء لإرواء عطشه بين الصفا والمروة، عندما أمر الله تعالى أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام أن يسكن ذريته بوادي مكة، فأنعّم الله عليها وعلى ابنها بنبع الماء. واهتم المسلمون منذ أيام الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وحتى يومنا هذا بماء زمزم، وحرصوا على الشرب منه اتباعاً لسنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

خصائص ماء زمزم:

إن هذا البئر العظيم لم ينضب أبداً منذ أن ظهر للوجود بل على العكس فهو يمدنا بالمزيد من الماء ومن يذهب لبيت الله الحرام يُدهش من كثرته وكفايته لجميع الحجاج، وهو لا يزال يحتفظ بنفس نسب مكوناته من الأملاح والمعادن منذ أن ظهر للوجود حتى يومنا هذا.

كما يتميز ماء زمزم بوفrته رغم كثرة زوار بيت الله الحرام، إذ بلغ متوسط المستهلك منه في اليوم السابع من شهر ذي الحجة خلال بعض السنوات الماضية نحو عشرة آلاف متر مكعب في الساعة. وفي ١٤ ربيع الثاني عام ١٣٩٩هـ سجل عمق الماء في البئر ٦, ١٥ متر، وذلك خلال القيام بأعمال التوسعة السعودية الثانية للمسجد الحرام وما تبعها من أعمال حفر حول بئر زمزم.

إضافة لصلاحيته للشرب لجميع الحجاج من جميع أنحاء العالم، فلم يحدث أن اشتكى مخلوق من أثر مياهه على صحته أو ما شابه ذلك، بل على العكس فهم دائماً ما يستمتعون بالمياه التي تنعشهم على الدوام، ولكن يلاحظ أن مذاق المياه يتغير عندما تنتقل إلى مكان آخر، وكذلك الرغبة لماء زمزم عالمية، فهذه المياه الطاهرة لم يتم معالجتها كيميائياً أو بمواد التبييض كما هو الحال مع المياه التي تضخ للمدن.

ويلاحظ أنه في حالة الآبار العادية يزداد النمو البيولوجي والنباتي في داخل البئر مما يجعل المياه غير صالحة للشرب نظرًا لنمو الطحالب مما يسبب مشكلات في الطعم والرائحة، ولكن في حالة بئر زمزم، لم يكن هناك أي دليل على النمو البيولوجي. كما تُظهر نتائج تحاليل ماء زمزم لـ "مركز أبحاث الحج بجامعة الملك عبد العزيز" أن ماء زمزم نقي لا لون له ولا رائحة، ذو مذاق رائع قليلًا، أسه الهيدروجيني (٧, ٨) وبذلك يكون قلويًا إلى حد ما ويحتوي على تركيزات عالية من الصوديوم والكالسيوم والمغنسيوم والمعادن الأخرى ولكنها تقع ضمن مقاييس منظمة الصحة العالمية ماعدا الصوديوم فهو مرتفع.

ومن الجدير بالذكر أن العناصر السامة الأربعة وهي الزرنيخ والرصاص والكاديوم والسيلينيوم توجد فيه بأقل من مستوى الضرر بكثير بالنسبة للاستخدام البشري، ومن المعالجة بالأشعة فوق البنفسجية وجد أن ماء زمزم خالية من الجراثيم. مما تقدم يتضح لنا أن ماء زمزم قلوي غني بالمعادن المفيدة للجسم، ويعادل الأس الهيدروجيني للجسم ويزيل الفضلات الحمضية من الجسم، كما أنه مضاد قوي للأكسدة ومزيل قوي للسموم.

كما يساعد على امتصاص العناصر الغذائية بكفاءة أفضل إلى داخل الجسم ويساعد الجسم في تمثيل المعادن المؤيَّنة بسهولة أكبر، بالإضافة إلى أنه يساعد على تنظيم الهضم وتحسينه بصفة عامة بإعادة التوازن للجسم، ويقلل من تأكسد الأعضاء الحيوية، وله مُعامل أكسدة واختزال سالب لذلك يعد وسطًا معاديًا للبكتيريا.

ومن الجدير بالذكر أنه أثناء التعرض للجو شديد الحرارة يحدث نقص في كل من الصوديوم والبوتاسيوم في سير الدم ومع المجهود الشديد يزيد معدل الفقد في كل من الصوديوم والبوتاسيوم مع زيادة كمية العرق، وهذا قد يفسر ارتفاع الصوديوم في ماء زمزم عن المعدل المسموح به لتعويض هذا النقص حيث الجو شديد الحرارة في هذه الأماكن المقدسة.

وفرة ماء زمزم:

صدرت توجيهات ملكية للرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين بضرورة مراعاة حماية البئر من أي تسربات ناتجة عن أعمال الحفر، وقد تم تحديد معالم البئر لأول مرة في التاريخ في عهد الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله، وتم تنظيف قاع البئر من التراكمات التي تجمعت بداخله منذ أكثر من ألف عام وبلغ ارتفاعها عشرة أمتار من قاع البئر ووزنها عشرة أطنان، وأصبح عمق الماء في البئر بعد ذلك ٦, ٢٥ متر، وينخفض منسوب الماء عن سطح فوهة البئر ما بين ٨, ٣ و ٥, ٤ أمتار حالياً.

وفي منبعه الأساسي سر غامض يعتبره علماء الجيولوجيا كنزا كبيرا ربما يستحيل كشف رموزه إلى أن تقوم الساعة، حيث ما من ماء يصل إلى هذا النبع حتى يكتسب خواص ماء زمزم، نقاوةً وطهارةً، هذه النتيجة ليست نظرية أو غيبية أو منقولة من بطون الكتب القديمة، لكنها خلاصة أبحاث علمية شملت البئر وماءه ودرجة نقائه، وشملت مياه آبار أخرى قريبة جداً منه، وُجد أنها لا تتمتع بنفس الخواص، حيث يفيض الماء منه منذ آلاف السنين دون أن يجف البئر أو ينقص حجم المياه فيه.

وكانت مفاجأة مذهشة للعلماء أثناء توسعة الحرم المكي وتشغيل مضخات ضخمة لشفط المياه من بئر زمزم حتى يمكن وضع الأساسات، أن غزارة المياه المسحوبة قابلها فيضان مستمر في الماء، يفور ويمور كأنه أمواج البحر.

ماء زمزم في مجال الكشوفات الحديثة:

حدث في عام ١٩٧١م ما يبرهن على خصوصية ماء زمزم، حيث قام أحد الأطباء بإرسال خطاب إلى دار نشر أوروبية مضمونه أن ماء زمزم لا يصلح لغرض الشرب، وهو قد بنى افتراضه هذا على أساس أن الكعبة مكان ضحل بمعنى أنها تحت مستوى سطح البحر، كما أنها تقع في مركز مكة فكل هذه الظروف تعني أن مياه الصرف المتجمعة من المدينة كلها تصرف من خلال البالوعات في بئر واحدة تجمعها كلها.

ولحسن الحظ قد وصلت هذه الأنباء إلى الملك فيصل آنذاك، الذي استشاط غضبه لسماع هذه الأنباء وقرر أن يبطل هذه الدعاوى المستفزة، ففي الحال أصدر أوامره إلى وزارة الزراعة ومصادر المياه للتحري وإرسال عينات من ماء زمزم إلى المعامل الأوروبية لفحصها لمعرفة مدى صلاحيتها للشرب، وذهب الخبراء إلى مكة لهذا الغرض، وكلفوا أحد العمال من الرجال لمساعدتهم على تنفيذ ما يريدون أثناء الفحص العملي لبئر زمزم.

وعندما وصلوا إلى البئر بإذن من المسؤولين كان من الصعب عليهم التصديق بأن حوضاً من الماء يشبه البركة الصغيرة، ولا يزيد عمقه عن ١٤ إلى ١٨ قدماً هو نفسه البئر الذي يمدنا بملايين من الجالونات من الماء كل عام للحجاج والمعتمرين، وهو أيضاً قد جاء للوجود منذ قرون طويلة.

وهنا بدأ الخبراء عملهم وبدأوا في أخذ أبعاد البئر، وطلب الخبراء من العامل المكلف لمساعدتهم بأن يريهم مدى عمق البئر، ففي أول الأمر نزل الرجل في الماء رأى الخبراء أن الماء قد تعدى كتفيه بمسافة بسيطة، وكان طول ذلك الرجل حوالي ٥ أقدام و ٨ بوصات ولنا أن نتصور في مخيلتنا أن الماء في البئر لم يكن عميقاً، ثم بعد ذلك بدأ الرجل يتحرك في البئر من مكان إلى آخر بحيث لا يصل إلى مرحلة غمر رأسه في الماء وذلك لكي يبحث عن مصدر نفاذ الماء إلى البئر، ومع هذا فقد أكد الرجل أنه لا يستطيع أن يحدد وجود أي منفذ تأتي منه المياه إلى البئر.

وحير الأمر الباحثين، فجاءتهم فكرة أخرى وهي استخدام مضخة كبيرة ناقلة لضخ المياه خارج البئر إلى خزانات ماء زمزم وبهذا ينخفض منسوب المياه في البئر، فجأة وهنا يمكن تحديد النقطة التي ينفذ منها الماء إلى البئر، وهذا الأمر لم يكن غاية في الصعوبة لأن منسوب المياه لم يكن عالياً للدرجة التي تعوق الضخ، بل بالعكس كان تحديد نقطة نفاذ المياه إلى البئر من المتوقع أن يكون سهلاً لأن هذه كانت هي الطريقة الوحيدة التي تعرف بها نقطة نفاذ الماء إلى البئر.

وفي نفس الوقت أشار الباحثون إلى العامل المرافق لهم أن يقف مكانه داخل البئر ولا يتحرك، وأن يلاحظ بعناية أية ظاهرة غير عادية من الممكن أن تحدث داخل البئر.

وبعد لحظة رفع العامل يديه وهو يصرخ قائلاً: «الحمد لله ... لقد وجدتها»، فقد لاحظ أن الرمال ترقص تحت قدميه، وأن المياه ترشح في قاع البئر أي أن المياه تنبع فعلاً من تحت الرمال.

تحرك العامل خلال البئر ولاحظ أن تلك الظاهرة موجودة بالفعل في جميع أنحاء البئر، وفي واقع الأمر كان تدفق الماء إلى داخل البئر خلال القاع متساوياً في كل نقطة من نقاط البئر، وبهذا يحافظ على منسوب الماء في البئر ثابتاً، وبعد ذلك أخذ الخبراء يسجلون نتائجهم، ثم أخذوا عينات من ماء زمزم لفحصها في معامل أوروبا.

وقبل أن يرحل الخبراء سألوا عن الآبار المحيطة بمكة فتم إخبارهم بأنها كلها جافة تقريباً، وحاول أحد الخبراء أن يجد تبريراً لظاهرة رشح المياه من تحت الرمال فوضع أحدهم افتراضاً بأن بئر زمزم قد يكون مرتبطاً داخلياً بماء البحر الأحمر، ولكن هذا الافتراض لم يكن منطقياً، فكيف يكون ذلك منطقياً وكل الآبار المحيطة بمكة جافة وكذلك أن مكة تبعد عن البحر الأحمر بحوالي ٧٥ كم، وقد ثبت تطابق نتائج فحص الخبراء للمياه مع نتائج معامل أوروبا.

وكان الفرق بين ماء زمزم وماء الشرب الذي يضخ في المنازل هو نسبة أملاح الكالسيوم والماغنيسيوم، فلقد كانت نسبتها أعلى في ماء زمزم وهذا هو السبب في أنها تنعش الحجاج المتعبين، والأكثر أهمية من ذلك هو أن ماء زمزم يحتوي على فلوريدات مضادة للجراثيم بشكل عالي الفعالية، والأهم من كل هذا هو أن المعامل في أوروبا أثبتت أن الماء فعلاً صالح للشرب، وبهذا ثبت بطلان الافتراض الذي أدلى به ذلك الطبيب.

وجه الإعجاز:

يقول ابن القيم رحمته: «لقد جربت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله، وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر ولا يجد جوعاً ويطوف مع الناس كأحدهم وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً وكان له قوة يجامع بها أهله ويصوم ويطوف مراراً»^(١).

قصص واقعية في الاستشفاء بماء زمزم:

إن قصص المتفاعين من ماء زمزم القديمة والمعاصرة كثيرة جداً أذكر منها قصة عاصرتها بنفسي، وأقسم بالله على صدقها، وهي أن زوجتي بعد أن رزقنا الله بمولودتنا الأولى في ١١ رمضان ١٤١٨ هـ الموافق ٩ يناير لعام ١٩٩٨ م، أصيبت بكيس دهني في منطقة الذقن، وقال الأطباء حينها إن إزالته لا تكون إلا عن طريق الجراحة.

ولكن في ذلك الوقت كانت عندها ظروف صحية تحول دون إجراء تلك الجراحة، وبعد فترة وجيزة وبعد انقضاء عطلة نصف العام سافرت معي إلى السعودية حيث كنت أعمل مدرساً في جدة، وأدت معي فريضة الحج، وشربت من ماء زمزم بنية الشفاء ووضعت منه على الكيس الدهني، وبعد فترة من الزمن - لا نذكرها تحديداً - فوجئنا باختفاء الكيس الدهني تماماً، وزوال تلك الظروف الصحية التي كانت تحول دون إجراء الجراحة، وصدق رسول الله ﷺ في قوله عن ماء زمزم أنها: شفاء من السُّقَم.

(١) زاد المعاد، (٤/٣٥٦).

وقد حدثني أحد زملاء العمل أن الله ﷻ قد شفاه من مرض البواسير بعد شربه الكثير من ماء زمزم، وعندما ذكرت ذلك في أحد المجالس حدثني أحد الأصدقاء بأنه حدث معه نفس الشيء.

ومن القصص التي قرأتها في الاستشفاء بماء زمزم ما ذكره أحد المسلمين بعد عودته من أداء فريضة الحج فقال: حدثني سيدة فاضلة اسمها "يسرية عبد الرحمن حراز" كانت تؤدي معنا فريضة الحج ضمن وزارة الأوقاف عن المعجزة التي حدثت لها ببركات ماء زمزم فقالت: إنها أصيبت منذ سنوات بقرحة قرمزية في عينها اليسرى نتج عنها صداع نصفي لا يفارقها ليل نهار، ولا تهدئ منه المسكنات، كما أنها كادت تفقد الرؤية تماماً بالعين المصابة لوجود غشاوة بيضاء عليها. وذهبت إلى أحد كبار أطباء العيون فأكد أنه لا سبيل إلى وقف الصداع إلا بإعطائها حقنة تقضي عليه، وفي نفس الوقت تقضي على العين المصابة فلا ترى إلى الأبد.

وفزعت السيدة يسرية لهذا النبأ القاسي، ولكنها كانت واثقة في رحمة الله ﷻ ومطمئنة إلى أنه سيهيئ لها أسباب الشفاء رغم جزم الطب والأطباء بتضاؤل الأمل في ذلك. ففكرت في أداء عمرة، كي تتمكن من التماس الشفاء مباشرةً من الله عند بيته المحرم.

وذهبت إلى مكة وطافت بالكعبة، ثم اتجهت إلى ماء زمزم لتملأ كوباً منه وتغسل به عينها. وبعد ذلك أتمت السعي وعادت إلى الفندق الذي تنزل به. وفوجئت بعد عودتها إلى الفندق أن عينها المريضة أصبحت سليمة تماماً، وأن أعراض القرحة القرمزية توارت ولم يعد لها أثر يُذكر.

ومثل هذه الحكاية وحكايات أخرى نسمع عنها من أصحابها أو نقرأها، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على صدق ما قاله الرسول ﷺ عن هذه البئر المباركة زمزم، فيروي صاحب هذه الحكاية الدكتور فاروق عنتر فيقول: «لقد أصبت منذ سنوات بحصاة في الحالب، وقرر الأطباء استحالة إخراجها إلا بعملية جراحية،

ولكنني أَجَلْتُ إجراء العلمية مرتين. ثم عَنَّ لي أن أؤدي عمرة، وأسأل الله أن يُمِّنَ عليَّ بنعمة الشفاء وإخراج هذه الحصاة بدون جراحة؟».

وبالفعل سافر الدكتور فاروق إلى مكة، وأدى العمرة وشرب من ماء زمزم، وقَبَّلَ الحجر الأسود، ثم صلى ركعتين قبل خروجه من الحرم، فأحس بشيء يوخزه في الحالب، فأسرع إلى دورة المياه، فإذا بالمعجزة تحدث، وتخرج الحصاة الكبيرة، ويُشْفَى دون أن يدخل غرفة العمليات. لقد كان خروج هذه الحصاة مفاجأة له وللأطباء الذين كانوا يقومون على علاجه، ويتابعون حالته.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل تجرأ أحدٌ يوماً على أن يعطي لبئر من الآبار من المزايا والخصائص ما أعطاه رسولنا الكريم ﷺ لبئر زمزم؟ ثم هل كان النبي ﷺ صادقاً فيما أخبر به؟ فالجواب ولا شك: نعم، فما أخبر به ﷺ فيما سِوى ذلك هو كذلك صدقٌ وحق أوحاه الله تعالى له من غير تبديل ولا نقصان ولا تحريف.

الكَمَاةُ مِنَ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ؛

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْكَمَاةُ مِنَ الْمَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ» (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ). ورواه مسلم بلفظ: «الْكَمَاةُ مِنَ الْمَنِّ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ».

ما معنى قوله ﷺ: «وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ»؟ هذا من طبه ﷺ ونحن نؤمن بذلك إيمان اليقين ولكن ينبغي الرجوع في ذلك إلى ذوي الاختصاص المؤمنين لأن وصفة الطبيب لا يجوز استعمال أي مريض لها بدون مراجعته، بل الذي يقرره الأطباء ضرورة رجوع المريض نفسه إلى الطبيب الذي أعطاه الوصفة ليقرر له هل يناسب استعمالها الآن مزاجه فيكررها أم لا.

ما هي الكَمَاة:

هي نوع من الدرنيات والجذور التي لا ورق لها ولا ساق تخرج في الأرض بدون زرع وتكثر أيام الخصب وكثرة المطر والرعد، وهو نبات يُنْقَضُ الْأَرْضُ فيخرج

كما يخرج الفطر، وهو معروف من نبات الأرض والعرب تسمية جذري الأرض، فسماه الشارع منّا أي طعامًا بغير عمل كالمن الذي أنزل على بني إسرائيل.

أما التفسير العلمي الذي عرف حتى الآن لتكون درنات الكمأة في الأرض، فهو أن البرق يضع تحت تصرف الغلاف الجوي الطاقة اللازمة لتشكيل العديد من الأكاسيد والمركبات الغذائية (مركبات الأزوت)، ويعمل الرعد على ترسيب هذه المركبات، إما على صورة جافة بفعل الثقالة الأرضية (الجاذبية)، وإما على صورة محاليل مائية بفعل حبات المطر، فتصل الطبقة السطحية للأرض بعد أن رفع الرعد من قدرتها على تخزين الماء والغذاء اللازمين لنمو فطر الكمأة وعائلة (جردة الكمأة)، ومن المحتمل أن يكون الدور الرئيسي للرعد في إرسال بعض الموجات الصوتية التي من شأنها أن تمزق أغلفة أنواع فطر الكمأة الكامنة، فتتنشط بوجود الماء والتربة الرخوة وتبدأ عملية (الفقع) إلى سطح التربة.

والكمأة توجد في الأرض من غير أن تزرع، والعرب تسمى الكمأة أيضًا نبات الرعد لأنها تكثر بكثرته ثم تنفطر عنها الأرض وهي كثيرة بأرض العرب وتوجد بالشام ومصر والعراق، وأجودها ما كانت أرضه رملية قليلة الماء ومنها صنف يضرب لونه إلى الحمرة، وهي باردة رطبة رديئة للمعدة بطيئة الهضم، ويسميه أهل الخليج أو أهل الجزيرة العربية: (الفقع) وهو جمع لكلمة فقعة، وفي منطقة بلاد الشام، يسمونه "الكماه" تمييزًا لـ "الكمأة" وهو اسمه العربي الوارد في الحديث، ينمو تحت سطح الأرض على أعماق متفاوتة تصل ما بين ٢ سم إلى ٥٠ سم ولا تظهر له أجزاء فوق سطح الأرض على الإطلاق، فلا ورق، ولا زهر، وهو نبات لا جذر له.

أما محاولة زراعتها بتدخل الإنسان في ذلك، فقد باءت جميع المحاولات حتى الآن بالفشل.

أنواع الكمأة:

توجد عدة أنواع من الكمأة ولا يكاد يختلف عن بعضها كثيرًا سوى اختلاف بسيط في ألوانها مثل الزبيدي ولونه يميل إلى البياض وحجمه كبير قد يصل إلى حجم

البرتقالة الكبيرة وأحياناً أكبر من ذلك، والخلاسى ولونه أحمر وهو أصغر من الزبيدي ولكنه في بعض المناطق ألد وأعلى في القيمة من الزبيدي، والجبي ولونه أسود إلى حمرة وهو صغير جداً، والهوبر ولونه أسود وداخله أبيض وهذا النوع يظهر قبل ظهور الكمأة الأصلية وهو يدل على أن الكمأة ستظهر قريباً، ويعتبر هذا النوع أردأ أنواع الكمأة ونادراً ما يؤكل.

المحتويات الكيميائية للكمأة:

تبين من تحليل الكمأة احتوائها على البروتين بنسبة ٩٪، والمواد النشوية بنسبة ١٣٪، ودهون بنسبة ١٪، لهذا فهي ذات مردود حراري متواضع، وتحتوي على معادن مشابهة لتلك التي يحتويها جسم الإنسان مثل الفوسفور، والصوديوم، والكالسيوم، والبوتاسيوم، كما تحتوي على فيتامين ب، وهي غنية بهذا الفيتامين. كما تحتوي على كمية من النيتروجين بجانب الكربون، والأكسجين، والهيدروجين، وهذا ما يجعل تركيبها شبيهاً بتركيب اللحم، وطعم المطبوخ منها مثل طعم كلى الضأن، أضف إلى هذا رائحة الكمأة المحببة وطعمه الأشهى، مما يغري الكثيرين بالإقبال عليه.

كيفية العلاج بالكمأة:

اختلفت طرق ووسائل العلاج بالكمأة كما اختلفت طرق ووسائل أكله، فكل بلد له طريقة خاصة في أكله أو العلاج به، غير إن المشتهر عنه أنه غذاء لذيد وشهى، هذا ما تعارف عليه الناس من القدم إلا أن البعض استطاع أن يكتشف أنه سبب لعلاج بعض الأمراض بإذن الله. قال ابن القيم نقلاً عن الغافقي: «ماء الكمأة أصلح الأدوية للعين إذا عجن به الإثمد واكتحل به، ويقوي أجفانها ويزيد الروح الباصرة قوة وحدة ويدفع عنها نزول النوازل»^(١).

(١) زاد المعاد، (٤/٣٢٦).

وقال النووي: «وَالصَّحِيحُ بَلِ الصَّوَابُ أَنَّ مَاءَهَا مُجَرَّدًا شِفَاءً لِّلْعَيْنِ مُطْلَقًا فَيُعْصَرُ مَاؤُهَا وَيُجْعَلُ فِي الْعَيْنِ مِنْهُ وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا وَغَيْرِي فِي زَمَانِنَا مَنْ كَانَ عَمِيَ وَذَهَبَ بَصَرُهُ حَقِيقَةً فَكَحَلَ عَيْنَهُ بِمَاءِ الْكَمَاءَةِ مُجَرَّدًا فَشَفِيَ وَعَادَ إِلَيْهِ بَصَرُهُ وَهُوَ الشَّيْخُ الْعَدْلُ الْأَيْمَنُ الْكَمَالُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الدَّمَشَقِيُّ صَاحِبُ صَلاَحٍ وَرَوَايَةٍ لِلْحَدِيثِ وَكَانَ اسْتِعْمَالُهُ لِمَاءِ الْكَمَاءَةِ اعْتِقَادًا فِي الْحَدِيثِ وَتَبَرُّكًا بِهِ فَتَنَعَهُ اللَّهُ بِهِ»^(١).

الكمأة في عصرنا هذا:

تستعمل الكمأة لعلاج هشاشة الأظافر وسرعة تكسرها أو تقصفها وتشقق الشفتين واضطراب الرؤية، وقد أجريت العديد من الدراسات والأبحاث على مرضى مصابين بالرمد الحبيبي أو التراكوما - وهو التهاب مزمن ومعدٍ يصيب العين ويؤدي إلى تليف القرنية، مما قد يتسبب في فقدان البصر - فاستُخدم ماء الكمأة في علاج نصف المرضى، واستخدمت المضادات الحيوية في علاج النصف الآخر.

فتبين أن ماء الكمأة قد أدَّى إلى نقص شديد في تكون الخلايا اللمفاوية والألياف التي تنتج عن هذا الالتهاب، والتي تسبب العتامة في القرنية، بعكس الحالات الأخرى التي استخدمت فيها المضادات الحيوية، فهو يقلل من حدوث هذا التليف في قرنية العين وذلك بوقف نمو الخلايا المكوِّنة للألياف، كما أنه في نفس الوقت يقوم بمعادلة التأثير الكيميائي لسُموم التراكوما، ويمنع النمو غير الطبيعي للخلايا الطلائية للملتحمة في العين، ويزيد من التغذية لهذه الخلايا عن طريق توسيع الشعيرات الدموية بالملتحمة، ولأن معظم مضاعفات الرمد الحبيبي تنتج عن عملية تليف قرنية العين، فإن ماء الكمأة يمنع من حدوث هذه المضاعفات بإذن الله.

وفي المؤتمر العالمي الأول عن الطب الإسلامي ألقى الدكتور المعتر بالله المرزوقي محاضرة عن نتائج معالجته لآفات عينية مختلفة بتقطير ماء الكمأة في العين،

(١) شرح صحيح مسلم (٥/١٤).

ولقد تم استخلاص العصاره المائية منها في مختبر فيلانوف بأوديسا، ثم تم تجفيف السائل حتى يتمكن من الاحتفاظ به لفترة طويلة وعند الاستعمال تم حل المسحوق في ماء مقطر لتصل إلى نفس تركيز ماء الكمأة الطبيعي وهو ماء بني اللون له رائحة نفاذة ولقد عالج به حالات متقدمة من (التراكوما).

فكانت النتائج إيجابية حيث تم تشخيصه عند ٨٦ طفلاً، تم تقسيمهم إلى مجموعتين مجموعة عولجت بالأدوية المعتادة ومجموعة عولجت بعدما أضيف ماء الكمأة إلى تلك المعالجات حيث تم تقطير ماء الكمأة في العين المصابة ٣ مرات يومياً ولمدة شهر كامل وكان الفرق واضحاً جداً بين المجموعتين فالحالات التي عولجت بالأدوية المعتادة ظهر فيها تليف في ملتحمة الجفون أما التي عولجت بماء الكمأة المقطر عادت الملتحمة إلى وضعها السوي دون تليف الملتحمة.

ظهرت هذه الحقائق العلمية مكشوفة واضحة وأخبرنا بها رسول الله ﷺ بدون معامل ولا مختبرات ولا تحليلات، فظهر صدق ما أخبر به الحبيب المصطفى من كون الكمأة شفاءً للعين وهذا يدل على أن محمداً ﷺ رسول من الله للعالمين لا ينطق عن الهوى ولا يتكلم بالخرافات ولا هو ساحر ولا مجنون.

فكان قوله هذا سبقاً علمياً وإعجازاً نبوياً، تحدى فيه الأطباء والباحثين، قبل أن تتطور العلوم ويكتشف الناس هذه الحقائق في العصر الذي تباهى الناس فيه بالعلم وركنوا إليه، وليتهم جعلوا منه طريقاً إلى الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ.

عَجَبُ الذَّنْبِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجَبُ الذَّنْبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (رواه البخاري ومسلم). وفي رواية عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالُوا: «أَيُّ عَظْمٍ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟». قَالَ: «عَجَبُ الذَّنْبِ». (رواه مسلم).

وفي رواية عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجَبَ الذَّنْبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرْكَبُ».

(العَجَبُ): هو العظم الذي في أسفل الصُّلب عند العَجْز (الجزء الخلفي في نهاية السلسلة الفقارية).

يُستنتج من هذه الأحاديث الصحيحة الحقائق التالية:

- أن عجب الذنب مكوّن أساس يتركب منه الجنين في مراحلہ الأولى. فالإنسان يبدأ خلقه في مرحلة التكوين من عجب الذنب.
 - عجب الذنب لا يبلى، ولا تأكله الأرض.
 - فيه يركب الخلق يوم القيامة، فمنه يعاد خلق الإنسان يوم القيامة.
- إن ثبوت الاستتاج الأول علميًا (عجب الذنب مكوّن أساس يتركب منه الجنين في مراحلہ الأولى) يكفي لقبول الاستتاج الثالث (فيه يركب الخلق يوم القيامة) والذي هو قطعًا من الغيب الذي لا يمكن الخوض فيه، وفي ذلك أدلة على أمور عديدة منها:

- الدليل على أن البعث حق.
- الدليل على نبوة الرسول ﷺ لما ثبت من صدق حديثه.
- الدليل على سلامة منهج سلف هذه الأمة في سلامة النقل عن رسول الله ﷺ حتى وصلت إلينا الأحاديث النبوية الشريفة كما أخبر عنها.

المسألة الأولى التي ذكرتها الأحاديث النبوية: وهي أن الإنسان يبدأ خلقه من

عجب الذنب:

أوضح علم الأجنة الحديث أن عجب الذنب هو الشريط الأولي، حيث إن هذا الشريط الأولي هو الذي يتكون إثر ظهوره الجنين بكافة طبقاته وخاصة الجهاز العصبي، ثم يندثر هذا الشريط ولا يبقى منه إلا أثر فيما يسمى عظم العصعصي (عجب الذنب).

ونتيجة لظهور الشريط الأولى يبدأ تكوّن الجهاز العصبي والنوتوكورد (سالفة العمود الفقري) كما تتكون الطبقة المتوسطة (الميزودرم) ويشهد الجنين بداية تكوين الأعضاء، أما عند غياب أو عدم تكون الشريط الأولى فإن هذه الأعضاء لا تتكون وبالتالي لا يتحول القرص الجنيني البدائي إلى مرحلة تكون الأعضاء بها فيها الجهاز العصبي.

ولأهمية هذا الشريط الأولى فقد جعلته لجنة "وارنك" البريطانية (المختصة بالتلقيح الإنساني والأجنة) العلامة الفاصلة بين الوقت الذي يسمح فيه للأطباء والباحثين بإجراء التجارب على الأجنة المبكرة الناتجة عن فائض التلقيح الصناعي في الأنابيب (الأطباق)، فقد سمحت اللجنة بإجراء هذه التجارب قبل ظهور الشريط الأولى ومنعته منعاً باتاً بعد ظهوره على اعتبار أن ظهور هذا الشريط يعقبه البدايات الأولى للجهاز العصبي.

إن الشريط الأولى ذو أهمية بالغة لأن نشاطه الجرم يؤدي إلى تكون النوتوكورد (سالفة العمود الفقري)، وإلى تكون الطبقة المتوسطة الداخلية (الميزودرم) التي يكاد ينتهي الشريط الأولى من مهمته تلك في الأسبوع الرابع حتى يبدأ في الاندثار ويبقى كامناً في المنطقة العجزية - العصبية - في الجنين ثم في المولود، ويندر ما عدا ذلك الأثر الضئيل الذي لا يري بالعين المجردة.

المسألة الثانية التي ذكرت في الأحاديث وهي أن عجب الذنب لا يبلى.

لقد اكتشف العلماء أن الذي يقوم بالتخليق والتنظيم لجميع خلايا الجنين هو الشريط الأولي، وأول من اكتشف ذلك من العلماء هو العالم الألماني الشهير "هانسن سيبان" حيث قام بدراسات وتجارب على الشريط الأولي والعقدة الأولية واكتشف أن الخيط الأولي والعقدة الأولية هما اللذان ينظمان خلق الجنين وأطلق عليهما اسم (المنظم الأولي أو المخلق الأولي) (Primary Organizer) وقام بقطع الشريط الأولي وزرعه في جنين آخر في المراحل الجنينية المبكرة في الأسبوع الثالث والرابع فأدى ذلك إلى نمو جنين ثانوي من هذه القطعة المزروعة في الجنين المضيف؛ حيث تقوم هذه القطعة

المزروعة بالتأثير على البيئة التي حولها والمكونة من خلايا الجنين المضيف، بحيث تؤثر عليها وتنظمها ويتخلق منها جنين ثانوي مغروسًا في جسد الجنين المضيف.

ثم قام هذا العالم الألماني "سبيمان" عام ١٩٣١م بسحق المنظم الأولي وزرعه مرة أخرى فلم يؤثر السحق حيث نما مرة أخرى وكون محورًا جنينيًا ثانويًا رغم سحقه ولم تتأثر خلاياه.

وفي عام ١٩٣٣م قام هذا العالم وعلماء آخرون بغلي المنظم الأولي وزراعته بعد غليه فشاهدوا أنه يؤدي إلى نمو محور جنين ثانوي بعد غليه ولم تتأثر خلاياه بالغليان، ولقد نال العالم الألماني (سبيمان) جائزة نوبل عام ١٩٣٥م على اكتشافه للمنظم الأولي.

وأجريت تجارب أخرى في نفس المجال وتوصلت إلى نفس النتيجة، ومن ذلك ما أثبتته مجموعة من علماء الصين في عدد من التجارب المختبرية استحالة إفناء عجب الذنب كيميائيًا بالإذابة في أقوى الأحماض، أو فيزيائيًا بالحرق، أو بالسحق، أو بالتعريض للأشعة المختلفة، ولقد قام الدكتور عثمان جيلان بالتعاون مع الشيخ عبد المجيد الزنداني في رمضان ١٤٢٤هـ في منزل الشيخ عبد المجيد الزنداني في صنعاء بتجربة على العصعص حيث قاموا وتحت تصوير تلفزيوني بأخذ أحد فقرتين لحمس عصاعص للأغنام وقاموا بإحراقها بمسدس غاز فوق أحجار ولمدة عشرة دقائق حتى احمرت وتأكدوا من إحراقها التام بحيث أصبحت حمراء، وبعد ذلك أصبحت سوداء متفحمة فوضعوا القطع في علب معقمة وأعطوها لأحد أشهر المختبرات في صنعاء (مختبر العولقي).

وقام الدكتور صالح العولقي أستاذ علم الأنسجة والأمراض في جامعة صنعاء بفحصها نسيجياً وكانت النتيجة مبهرة حيث وجد خلايا عظمة العصعص لم تتأثر ولا زالت حية وكأنها لم تحرق، أما الذي احترق فهو العضلات والأنسجة الدهنية وخلايا نخاع العظم المصنعة للدم، أما خلايا عظمة العصعص فلم تتأثر.

فكل هذه التجارب تؤكد أن عجب الذنب لا يبلى، بل يظل محتفظاً بخصائصه وقدرته على التخليق حتى في أصعب الظروف.

المسألة الثالثة التي أخبرت بها الأحاديث هي أن الإنسان يركب خلقه يوم القيامة من عجب الذنب:

فقد أشار المصطفى ﷺ أنه لا يبقى من الإنسان إلا عجب الذنب فإذا أراد الله بعث الأجساد أنزل عليها مطرا من السماء فینبت الإنسان من بقايا ذلك الشريط الأولى الكامن في عجب الذنب (المنطقة العصبية). قال ﷺ: «ثُمَّ يُنْزَلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ». (رواه البخاري ومسلم).

وجه الإعجاز:

من خلال اكتشافات العلم الحديث رأينا أن الإنسان يبدأ خلقه وتركيبه في اليوم الخامس عشر من عجب الذنب، ويعمل عجب الذنب على تكوين أجزاء جسم الإنسان ثم يرجع فيستقر في نهاية العمود الفقري في العنق، وأظهرت التجارب أن عجب الذنب يبقى محافظاً على خواصه حتى لو تعرض للحرق أو الطحن أو الغلي، وتمكن العلماء من ملاحظة قدرة عجب الذنب على إعادة عملية التخليق إذا تعرض لبعض المؤثرات مشكلاً ما يشبه الجنين.

وكل هذه الحقائق احتوتها الأحاديث النبوية الشريفة ولم تتوصل العلوم التجريبية إلى معرفتها إلا بعد مئات السنين، وبعد أن تمكنوا من حيازة التقنيات الحديثة وعلى مراحل مختلفة من تطور هذه التقنيات حتى تمكنوا من الحصول على هذه الحقائق العلمية التي أخبرنا عنها النبي ﷺ بلفظ موجز يحوي في طياته جوامع الكلم، فلا يمكن لعاقل أن يتصور مصدراً لهذه الحقائق العلمية من قبل أكثر من ألف وأربعمائة سنة غير وحي صادق من الله الخالق الذي خلق فأبدع، وألهم خاتم أنبيائه النطق بهذه الحقائق ليبقى فيها من الشهادات على صدق نبوته ورسالته ما يكون ملائماً لكل إنسان في كل عصر وزمان.